e-ISSN: 2148-4899

Pamukkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi
Pamukkale University Journal of Divinity Faculty
6 (12), Güz / Autumn 2019, 342-356.

FATIHA SURESİNDE SÖZ KONUSU OLAN MÜFRED VE CEMİ ZAMİRLERİ ARASINDAKİ GEÇİŞLERİN BELAĞAT AÇISINDAN İNCELENMESİ

Illuminations on the conscience of the addressee and attention between the singular and the combination in Surat Al-Fatihah

Bashar QAHWAJİ
Dr. Süleyman Demirel Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Arap Dili ve Belegatı Anabilim Dalı, e-Mail: basharqahwaj@gmail.com, Orcid No: 0000-0002-2584-7799.

Hakemler / Referees:

Dr. Öğrt. Üyesi Fethullah YENER / Pamukkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi
Dr. Öğrt. Üyesi Ahmet GÜL / Şırnak Üniversitesi İlahiyat Fakültesi.
Dr. Öğrt. Üyesi Malek Hassan M. Abdulqader / Pamukkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Makale Bilgisi / Article Information

Makale Türü / Article Types: Araştırma Makalesi / Research Article
Geliş Tarihi / Received: 08 Kasım/Novamber 2019
Kabul Tarihi / Accepted: 30 Aralık/December 2019
Yayın Tarihi / Published: 30 Aralık/December 2019
Cilt / Volume: 6 **Sayı / Issue**: 12 **Sayfa/ Pages**: 342-356

Atıf / Cite as: Qahwaji, Bashar. Fatiha Suresinde Söz Konusu Olan Müfred Ve Cemi Zamirleri Arasindaki Geçişlerin Belağat Açisindan Incelenmesi [Illuminations on the conscience of the addressee and attention between the singular and the combination in Surat Al-Fatihah]. *Pamukkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi-Pamukkale University Journal of Divinity Faculty.* 6/12, (2019): 342-356.
https://doi.org/10.17859/Pauifd.644542

İntihal / Plagiarism: Makale iki hakem tarafından da incelenmiştir. / This article has been reviewed by two referees.
www.dergipark.gov.tr/pauifd

Pamukkale Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (PAUİFD), 6 (12), 2019: 342-356.

FATİHA SURESİNDE SÖZ KONUSU OLAN MÜFRED VE CEMİ ZAMİRLERİ ARASINDAKİ GEÇİŞLERİN BELAĞAT AÇISINDAN İNCELENMESİ

Bashar Qahwaji*

Öz

Bu çalışma Fâtihâ suresini bazı dilsel açılardan incelemeyi amaçlamaktadır. Nitekim Kur'ân'ın kendisiyle başlaması ve bu sureyi okumadan namaz kılmanın mümkün olmayışı, Fâtihâ suresinin ehemmiyetini ifade etmek açısından yeterlidir. Bu önem bizleri araştırmamız için bu konuyu seçmeye sevk etmiştir. Çalışmada özellikle surede geçen) "نَعْبُد" taparız) "نَسْتَعِينُ", (yardım dileriz) ve) "اهْدِنَا" bizi ulaştır) şeklindeki ifadelerde neden tekil değil de çoğul bir kullanımın tercih edildiği sorusuna cevap aranacaktır. Bu bağlamda ilgili kullanımın Müslümanlar arasındaki birlik ve beraberliğine dair işaret ettiği hususlara ve faydalara değinilecek, mezkur durumun müminlere bireysellikten ziyade toplumsal bir bakış açısı kazandırmaya çalışmasındaki rolü incelenecektir.

Anahtar Kelimeler: Birinci tekil kişi adılı, Çoğul adılı, ibadet, topluluk, değişim.

Illuminations on the conscience of the addressee and attention between the singular and the combination in Surat Al-Fatihah

Abstract

This research sheds light on the most important sura in the Holy Quran، Al-Fatihah، which was chosen by God to open his holy book. The research presents some of its virtus، also it calls for the believer to think about and understand the instructions and the signals it pointed to. The researcher focused on some of benefits and maxims that can be learned from the turn of the conscience of one to the group in Al-Fatiha Surah: "Thee do we worship، And Thine aid we seek * Show us the straightway". The emphasis on the importance of the group and the unity of the class and the meeting of the word in Islam as a collective approach required for the nation، as well as the education of the believer on self-denial and his dedication to the renunciation of selfishness and independence to care for Muslims and their needs، and other governance and benefits.

Keywords: First person, subject pronoun, worship, assistance, change.

إضاءات بلاغية على ضمير المخاطب والتفاته بين المفرد والجمع في سورة الفاتحة

ملخص:

هذا البحث يلقي الضوء على أهم سورة في القرآن الكريم "الفاتحة" التي اختارها الله سبحانه لافتتاح كتابه الكريم، وليقولها المؤمن في كل ركعة في صلاته. فيعرض البحث لبعض فضائلها، كما يدعو المؤمن إلى ضرورة التفكر والتدبر بآياتها، والتبصر لأهمية ما ورد بها من الإرشادات والإشارات.

* Dr. Süleyman Demirel Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Arap Dili ve Belegatı Anabilim Dalı, e-Mail: basharqahwaj@gmail.com, Orcid No: 0000-0002-2584-7799.

وقد ركز الباحث على جملة من الحكم والفوائد المستمدة من العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}. فتم التركيز على أهمية الجماعة ووحدة الصف في الإسلام كمنهج جماعي مطلوب للأمة، وكذلك تعليم المؤمن على نكران الذات ونبذ الأنانية والاستقلالية ليهتم بشؤون المسلمين وبقضاء حوائجهم، كما أنها تعطي المؤمن عزة وثقة في نفسه أمام مجتمعه فيشعر كل فرد منهم أنه يتحدث بلسان الجميع، وغير ذلك من الحكم والفوائد التي ينبغي للمؤمن أن يجعلها نبراساً وهدفاً يسعى إليه ويتذكره في كل وقت ومع كل صلاة لينال خيري الدنيا والآخرة.

كلمات مفتاحية: ضمير الواحد، ضمير الجماعة، عبادة، استعانة، التفات

مقدمة:

برزت أهمية البحث في كونه يتحدث عن أعظم سورة في القرآن الكريم "سورة الفاتحة" التي يقرؤها كل يوم بل كل لحظة الملايين من المسلمين؛ ويسلط الضوء على بعض فضائلها، وعن الحكم المستنبطة من العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة فيها، وما في ذلك من الإرشادات الحكيمة والإشارات الواضحة التي تدعو المسلمين عامة ليكون لهم منهج عملي واحد مبني على اجتماع الكلمة ووحدة الصف ووضوح الهدف والرسالة، ليحققوا الخيرية التي أرادها الله تعالى وارتضاها لهم، قال جل شأنه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.. الآية} [آل عمران: 110].

ويعود سبب اختيار البحث إلى نقاط عدة منها:

- افتقار المكتبة الإسلامية في حدود علم الباحث إلى بحث متخصص حول مادة وعنوان البحث، وإن كانت بعض مواضيعه موجودة في بعض الكتب والتفاسير المتخصصة وبعض المحاضرات المرئية والمسموعة التي أشرت إليها في كل موضع اقتباس بالحاشية وفي نهاية البحث.
- حاجة العصر الملحة إلى الحلول القرآنية لعلاج حالة التشرذم التي تمر بها الأمة الإسلامية بشكل خاص، وعلاج عموم قضايا الإنسانية المختلفة.
- استكمال جهود العلماء السابقين، وإثراء الموضوع بكل ما هو جديد.
- الدعوة للتدبر بمعاني سورة الفاتحة العظيمة التي تقرؤ كل يوم مئات الملايين من المرات وتحتاج منا إلى تطبيق عملي لما جاء بها من الإرشادات والإشارات.

وتكمن إشكالية البحث في الإجابة عن بعض الأسئلة الملحة؛ مثل: ما فضائل سورة الفاتحة؟ ما الآيات الدالة على العدول عن ضمير الفرد إلى الجماعة في سورة الفاتحة وما شرحها؟ وما الحكم والإشارات والإرشادات التي تضمنها هذا العدول؟

وتتلخص أهدافه في التعريف ببعض فضائل سورة الفاتحة، وبيان الآيات التي تم فيها العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة في سورة الفاتحة وشرحها، ومن ثم ذكر الحكم والإشارات والإرشادات التي تضمنتها،و المساهمة بإثراء المكتبة الإسلامية بموضوعات القرآن الكريمة المختلفة، وإبراز دور القرآن الكريم في علاج مشكلات العصر وقضايا المسلمين الحاضرة والمستقبلية، والتأكيد على أن التمسك بإرشادات المنهج الإسلامي هو السبيل الوحيد لإقامة المجتمع الرباني المنشود، وبيان أن الإشارات القرآنية والتشريعات الربانية المعجزة هي الخلاص الوحيد للعالم من مشاكله وهمومه، وأن الإسلام هو الحلُّ الأمثل لجميع القضايا والمشاكل للأمة الإسلامية ولعموم الإنسانية.

وتنحصر حدود البحث في استقصاء الغاية من العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة في سورة الفاتحة من قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم.

وخطة البحث عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

- المقدمة: ذكر الباحث فيها الدراسات السابقة، أهمية البحث، مسوغات البحث، أسئلة البحث، أهداف البحث، منهج البحث، حدود البحث، اجراءات وأدوات البحث، بالإضافة إلى خطة البحث.
- 1. الفصل الأول: أورد فيه بعض فضائل سورة الفاتحة.
- 2. الفصل الثاني: وفيه بيان وشرح الآيات الدالة على ضمير الجماعة في سورة الفاتحة، ويشتمل على مبحثين:

2. 1. المبحث الأول: قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين، ويشتمل على أربعة مطالب:

2. 1. 1 المطلب الأول: معنى العبادة.

2. 1. 2 المطلب الثاني: معنى الاستعانة.

2. 1. 3 المطلب الثالث: علة تقديم العبادة على الاستعانة.

2. 1. 4 المطلب الرابع: علة تكرير إيّاك.

2. 2. المبحث الثاني: قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم.

- 3. الفصل الثالث: ذكر فيها بعضاً من حِكَم العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة في سورة الفاتحة.
- الخاتمة، وبين فيها: أهم نتائج البحث وثمراته، مع مجموعة من التوصيات.

- **1. الفصل الأول: بعض فضائل سورة الفاتحة**

أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ، وأَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ.[1] واخْتَلَفُوا أَهِيَ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وغيرهم: هِيَ مَكِّيَّةٌ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَالزُّهْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وقال أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ: نَزَلَ نِصْفُهَا بِمَكَّةَ، وَنِصْفُهَا بِالْمَدِينَةِ. وقال الثّعلبي: إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ مَدَنِيَّةٌ، نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ مَرَّتَيْنِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ الأقوال لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: 87]، وَالْحِجْرُ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ. وَلَا خِلَافَ أَنَّ فَرْضَ الصَّلَاةِ كَانَ بِمَكَّةَ. وَمَا حُفِظَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَطُّ صَلَاةٌ بِغَيْرِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ}، يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[2] وَهَذَا خَبَرٌ عَنِ الْحُكْمِ، لَا عَنْ الِابْتِدَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[3]

ويذكر القرطبي للفاتحة اثْنَا عَشَرَ اسْمًا[4]: الصلاة، الحمد، فاتحة الكتاب، أم الكتاب، أم القرآن، المثاني، القرآن العظيم، الشفاء، الرقية، الأساس، الوافية، الكافية. وَقَدْ ذكر السيوطي في كتابه الإتقان خمسة وَعِشْرِينَ اسْمًا للفاتحة، وقال: ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهَا فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ دَالَّةٌ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى.[5]

ولا خلاف بين العلماء والمفسرين على فضل سورة الفاتحة، بل إنّ كبار المحدثين والعلماء أفردوا لها باباً أو فصلاً مستقلاً في كتبهم وحواشيهم. وَفِي الْفَاتِحَةِ مِنَ الصِّفَاتِ ما لَيْس لِغَيْرِهَا، حتَّى قِيل: "إِنَّ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِيهَا. وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ عُلُومِ الْقُرْآنِ؛ وَمِنْ شَرَفِهَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَسَّمَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَلَا تَصِحُّ الْقُرْبَةُ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَلْحَقُ عَمَلٌ بِثَوَابِهَا، وَبِهَذَا المعنى صارت أم القرآن العظيم كَمَا صَارَتْ" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ".[6]

ويكفي سورة الفاتحة فضلاً أن الله تعالى افتتح بها كتابه العزيز وجعلها لازمة لكل صلاة فلا تقبل صلاة بدونها كما مرّ، ولقد ثبت في فضلها جملة من الأحاديث النبوية الشريفة منها:

- ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ».[7]

- وما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: 24]». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي

---

1. القرطبي، 2006م، (1/ 114). محمد بن أحمد بن أبي بكر ت: 671هـ، الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبيّن لما تضمنه من السنّة واي الفرقان، تحقيق د عبد الله التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1427هـ-2006م.
2. أخرجه البخاري [محمّد بن إسماعيل (194-256هـ). الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، تحقيق مصطفى ديب البغاء، دار ابن كثير دار اليمامة، ط5، بيروت، 1414هـ 1993م] في كتاب الأذان بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا رقم 756 (1/ 152)، ومسلم [مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري (204هـ-261هـ)، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية 1392هـ - 1972م] في كتاب الصلاة بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رقم 394 (1/ 295) عن عبادة بن الصامت.
3. القرطبي، مصدر سابق، (1/ 115).
4. القرطبي، مصدر سابق، (1/ 111).
5. السيوطي، 1974م، (1/ 187). عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.
6. القرطبي، مصدر سابق، (1/ 110).
7. أخرجه مسلّم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ رقم 806 (1/ 554).

الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}، «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».[8]

- وورد في فضلها كذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».[9]

وقوله سبحانه في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين» المراد بالصلاة هنا: الفاتحة، وَسُمِّيَتْ صَلَاةً لِمَا فِيهَا مِنَ الْقِرَاءَةِ وَكَوْنُهَا جُزْءًا مِنْ أَجْزَائِهَا قَالَهُ ابْنُ الْمَلَكِ.[10]

- ومن فضائلها أيضاً ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: «يَا أُبَيُّ»، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ صَلَّى أُبَيٌّ، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَ رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَعَلَيْكَ»، قَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَيْ أُبَيُّ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي»؟ قَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «أَفَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}؟» قَالَ: قَالَ: بَلَى، أَيْ رَسُولَ اللهِ، لَا أَعُودُ، قَالَ: «أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا»؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيْ رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا»، قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي يُحَدِّثُنِي وَأَنَا أَتَبَاطَأُ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا أَنْ دَنَوْنَا مِنَ الْبَابِ، قُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: «مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟»، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي».[11]

- ومن فضائلها ما ورد في الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيِّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ».[12]

2. الفصل الثاني: الآيات الدالة على ضمير الجماعة في سورة الفاتحة

8. أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في فاتحة الكتاب رقم 4474 (17/6).
9. أخرجه مسلم في كتاب الصلاة بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ رقم 395 (296 /1).
10. القاري، 2002م،(684 /2) علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.
11. أخرجه أحمد [ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الموسوعة الحديثية، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون / بإشراف د. عبد الله التركي مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى، (عدد الأجزاء 45 + 5 فهارس)، 1416هـ 1996م، ونسخة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001مبرقم 9345 (200 /15)، والترمذي [محمد بن عيسى (ت279هـ)، الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق ابراهيم عوض / مكتبة البابي الحلبي القاهرة الطبعة الأولى 1382هـ 1962م.] في كتاب أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب رقم 2875 (5 /5) وقال حديث حسن صحيح.
12. أخرجه البخاري في كتاب الإجارة بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ رقم 2276 (93 /3).

2. 1. **المبحث الأول: قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين**

قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، أي نذلّ لك ونخضع بالعبادة لك ونستعين بك على ذلك.[13] نقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عبَّاس أنّ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ.[14]

يقول الفخر الرازي إن قَوْلهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ يَقْتَضِي حُصُولَ رُتْبَةٍ عَظِيمَةٍ لِلنَّفْسِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ يُورِثُ الْعُجْبَ فَأَرْدَفَ بِقَوْلِهِ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الرُّتْبَةَ الْحَاصِلَةَ بِسَبَبِ الْعِبَادَةِ مَا حَصَلَتْ مِنْ قُوَّةِ الْعَبْدِ، بَلْ إِنَّمَا حَصَلَتْ بِإِعَانَةِ اللَّهِ.[15] فـ «إياك نعبد» تورث العجب بالعبادة فأردفه بقوله «وإياك نستعين» لإزالة ذلك.[16]

ويذكر ابن القيم: إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد: وهما الرياء، والكبر، فدواء الرياء بـِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، ودواء الكبر بـِ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.[17] فإذا عوفي من مرض الرياء بـِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، ومن مرض الكبر والعجب بـِ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، ومن مرض الضلال والجهل بـِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، غير المغضوب عليهم: وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين: وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه.[18]

فقدم سبحانه الحمد والثناء على الدعاء لأنّ تلك السُنّة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة. وكذلك قدّم الرحمن على ملك يوم الدين لأنّ رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدّم إياك نعبد على إياك نستعين لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.[19]

وأما معرفة العبودية فمبدؤها «إياك نعبد» وكمالها «إياك نستعين» في جميع المطالب، وإذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله: «اهدنا» إلى آخره، وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه.[20] ولفظ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يتضمن ما فيه من التعبّدات وإفراده بالألوهية، ولفظ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» يدل على ما فيه من طلب الاستعانة وذكر الاضطرار، ولفظ «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» يتضمن ما فيه من طلب الهداية إلى سبيل الخير.[21]

والملاحظ أنه من أول السورة إلى هنا، كان الأُسلوب للغيبة، ثم تغير هنا إلى الخطاب حتى آخرالسورة. وفوق ما يفيده تغير الأسلوب من التنبيه إلى موضوع الكلام، فإن فيه إشارة لطيفة إلى ترقي الحامد كلما أثنى على ربه، وأخلص في مناجاته، فينتقل من مقام الغيبة إلى مقام الحضور، وذلك حال المصلي الذي يقرأ الفاتحة.[22] لِأَنَّهُ لَمَّا أَثْنَى عَلَى اللَّهِ فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلِهَذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى، وَإِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ.[23]

2. 1. 1. المطلب الأول: معنى العبادة

---

13. القيسي، 2008، .(107 /1) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الشارقة بإشراف أ. د: الشاهد البو وشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
14. ابن كثير، 1999م، (135 /1). أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(701هـ-774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420هـ- 1999م.
15. الرازي، 1981م، (217 /1) فخر الدين محمد بن عمر (544-604هـ). التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م.
16. النيسابوري، 1995م، (107 /1) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عمرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
17. ابن القيم، 1989، (ص: 51).، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ.
18. ابن القيم، مصدر سابق.
19. ابن جزي، 1995، (65 /1). أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ.
20. النيسابوري، مصدر سابق، (107 /1).
21. ابن عجيبة، 1962م، .(68 /1) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنقري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، نشر حسن عباس زكي، القاهرة.
22. مجمع البحوث، 1993م، .(20 /1) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م).
23. ابن كثير، مصدر سابق، (135 /1).

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ، قوله: إِيَّاكَ، إِيَّا كَلِمَةُ ضَمِيرٍ خُصَّتْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمُضْمَرِ، وَيُسْتَعْمَلُ مُقَدَّمًا عَلَى الْفِعْلِ، فَيُقَالُ: إِيَّاكَ أَعْنِي وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ مُؤَخَّرًا إِلَّا مُنْفَصِلًا فَيُقَالُ: مَا عَنَيْتُ إِلَّا إِيَّاكَ.[24] فقوله تعالى: {إِيَّاكَ} في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدّم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له، واقتضى قوله: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» اعترافا بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلّا بالله وحده.[25]

فمعنى الآية: إيّاك ياالله نطيع الطَّاعَة الَّتِي نخضع مَعهَا.[26] فنخصّك بالعبادة ولا نعبد غيرك،[27] ولك وحدك اللهم نَخشَعُ ونَذِلُّ ونستكينُ، إقرارًا لك يا رَبنا بالرُّبوبية لا لغيرك.[28] أي نُوَحِّدُكَ وَنُطِيعُكَ خَاضِعِينَ، وَالْعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ.[29] والعرب تسمي الطريقَ المذلَّلَ الذي قد وَطِئته الأقدام وذلّلته السابلة: مُعبَّدًا.[30]

اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ لِيَكُونَ مَظْهَرًا لِكَمَالِ صِفَاتِهِ تَعَالَى: الْوُجُودُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ. وَجَعَلَ قَبُولَ الْإِنْسَانِ لِلْكَمَالَاتِ الَّتِي بِمِقْيَاسِهَا يَعْلَمُ نِسْبَةَ مَبْلَغِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ الرُّوحَ وَالْعَقْلَ اللَّذَيْنِ بِهِمَا يَزْدَادُ التَّدَرُّجُ فِي الْكَمَالِ وَالْمَعْرِفَةِ. فَظَهَرَ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ: طَرِيقُ الْكَمَالِ الذَّاتِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ مَبْدَأً وَنِهَايَةً، وَبِهِ يَتَّضِحُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. [الذاريات: 56] فَالْعِبَادَةُ عَلَى الْجُمْلَةِ لَا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا مُحَقِّقَةً لِلْمَقْصِدِ مِنَ الْخَلْقِ.[31]

والعِبادة هي غاية التذلل، ولا يستحقُّها إلا مَنْ له غايةُ الإفضالِ وهو الباري تعالى، فهي أبلغُ من العبودية، لأنَّ العبوديةَ إظهارُ التذلل.[32]

وقيل: العبادةُ التجرُّدُ، ويُقال: عَبَدْت الله بالتخفيف فقط، وعَبَّدْتُ الرجلَ بالتشديد فقط: أي ذَلَّلته أو اتخذتُه عبداً.

وفي قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} التفاتٌ من الغَيْبة إلى الخطاب، إذ لو جَرَى الكلامُ على أصلِه لقيل: الحمد الله، ثم قيل: إياه نعبدُ، والالتفاتُ: نوع من البلاغة.[33]

ويعرفها د. راتب النابلسي بأنها: طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.[34] فالعبادة تجمع أصلين غاية الحب مع غاية الخضوع، إياك نعبد وإياك نستعين، كلمتان بين الرب وبين العبد.[35]

2. 1. 2. المطلب الثاني: معنى الاستعانة

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): السينُ في معناها الطلبُ، أي: نطلب منك العَوْنَ على العبادة، وهو أحدُ المعاني التي لِـ " استفعل ".[36] فصار المعنى: أي نطلب منك العون والتأييد والتوفيق، ونخصك بطلب المعونة، فأنت مصدر العون والفضل والإحسان، ولا يملك القدرة على عوننا أحد غيرك.[37] وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأنّ الحق بين ذلك.[38]

---

24. البغوي، 1988م، (75 /1). أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاه نشاه البغوي (المتوفى: 317هـ)، تفسير البغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش / دار طيبة للنشر الرياض 1409ه – 1988م.
25. ابن جزي، مصدر سابق، (65 /1).
26. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.، (138 /2).
27. الزحيلي، 1997م، .(56 /1) د وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418ه-1997م.
28. الطبري، 2000م، .(157 /1) أبو جعفر محمد بن جرير ت:310هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م. الطبعة: 1419 هـ.
29. البغوي، مصدر سابق، .(75 /1)
30. الطبري، مصدر سابق، .(161 /1).
31. بن عاشور، 1984م، .(182 /1) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
32. السمين، د.ت، (57 /1). أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: د أحمد الخراط، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
33. السمين، مصدر سابق.
34. http://www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art=2872..
35. http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=9340&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49..
36. السمين، مصدر سابق، (59 /1).
37. الزحيلي، مصدر سابق، (56 /1).
38. ابن جزي، مصدر سابق، (65 /1).

وأطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره، إنما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا؛ وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه لأن الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد.[39]

وأصل نَسْتَعِين: نَسْتَعْوِنُ مثل نَسْتَخْرِجُ في الصحيح، لأنه من العَوْنِ، فاستُثْقِلت الكسرةُ على الواو، فنُقِلَت إلى الساكن قبلها، فَسَكَنت الواوُ بعد النقلِ وانكسر ما قبلها فَقُلِبَتْ ياءً. وهذه قاعدةٌ مطردَة، نحو: ميزان ومِيقات وهما من الوَزْن والوَقْت.[40]

الاستعانة عند د. راتب النابلسي تجمع أصلين؛ الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه ولا يثق به لأنه مضطر إليه، فقد تعتمد ولا تثق، وقد تثق ولا تعتمد، ولكن أصل الاستعانة بالله أن تثق به ثقةً مطلقة، وأن تعتمد عليه اعتماداً مطلقاً.[41]

2. 1. 3. المطلب الثالث: علة تقديم العبادة على الاستعانة

يقول السمعاني في تقديم العبادة على الاستعانة، أنه قد علم أن الاستعانة تكون قبل العبادة، والعمل لا يقوم إلا بعون الله، لأن العبادة لا سبيل إليها إلا بالمعونة، والمُعان على العبادة لا يكون إلا عابداً. فكل واحد مرتبط بالآخر: لا عمل إلا بمعونة ولا معونة إلا تتبعها عبادة، فلم يكن أحدهما أولى بالتقديم من الآخر، وأيضاً فإن الواو لا توجب ترتيباً عند أكثر النحويين.[42]

ويعلل ذلك ابن كثير فيقول: وَإِنَّمَا قَدَّمَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} عَلَى {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدِّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[43] وهو عند ابن القيم من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها.[44]

ويقول ابن عاشور أن وَجه تَقْدِيمِ قَوْلِهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ عَلَى قَوْلِهِ: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَقَرُّبٌ لِلْخَالِقِ تَعَالَى، فَهِيَ أَجْدَرُ بِالتَّقْدِيمِ فِي الْمُنَاجَاةِ، وَأَمَّا الِاسْتِعَانَةُ فَهِيَ لِنَفْعِ الْمَخْلُوقِ لِلتَّيْسِيرِ عَلَيْهِ، فَنَاسَبَ أَنْ يُقَدِّمَ الْمُنَاجِي مَا هُوَ مِنْ عَزْمِهِ وَصُنْعِهِ عَلَى مَا يَسْأَلُهُ مِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ. وَلِأَنَّ الِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ تَتَرَكَّبُ عَلَى كَوْنِهِ مَعْبُودًا لِلْمُسْتَعِينِ بِهِ وَلِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا تُطْلَبُ الْإِعَانَةُ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ فَكَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى الِاسْتِعَانَةِ فِي التَّعَقُّلِ. وَقَدْ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْدِيمِ أَيْضًا إِيفَاءُ حَقِّ فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْحَرْفِ السَّاكِنِ الْمُتَمَاثِلِ أَوِ الْقَرِيبِ فِي مَخْرَجِ اللِّسَانِ.[45]

2. 1. 4. المطلب الرابع: علة تكرير إيّاك

وعلة تكرير {إِيَّاكَ} هي اختلاف الفعلين، إذ أحدهما عبادة والآخر استعانة.[46] عَلى أَن الْعَرَب قد تَتَكَلَّم بِمثل هَذَا، فتقول: " هَذَا الْمَالِك بَين زيد، وَبَين عَمْرو "، وَإِن كَانَ يُفِيد قَوْلهم: " المَال بَين زيد، وَعَمْرو ". مَا يُفِيد الأول، وَلَا يعد ذَلِك عَيْبا فِي الْكَلَام؛ بل عد تفخيما وتجزيلا فِي الْكَلَام.[47]

ويقول ابن عاشور أن لفظ إيّاك أُعيد في الاستعانة دون أن يعطف فعل نستعين على نعبد مع أنهما مقصودان جميعاً كما أنبأ عنه عطف الجملة على الجملة، "لِأَنَّ بَيْنَ الْحَصْرَيْنِ فَرْقًا، فَالْحَصْرُ فِي إِيَّاكَ نَعْبُدُ حَقِيقِيٌّ وَالْقَصْرُ فِي إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ادِّعَائِيٌّ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ يَسْتَعِينُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى} [الْمَائِدَة: 2] وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَعِينُ فِي عَظَائِمِ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ وحده، وَلَا يَعُدُّ الِاسْتِعَانَةَ حَقِيقَةً إِلَّا الِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى".[48]

2. 2. **المبحث الثاني: قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم**

---

39. السامرائي، 2003م، (ص: 20). د فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، 1423 هـ - 2003 م.
40. السمين، مصدر سابق، (1/ 59).
41. http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=9340&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49 .
42. السمعاني، 1997، (1/ 37). أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ-1997م.
43. ابن كثير، مصدر سابق، (1/ 135)).
44. ابن القيم، مصدر سابق، (ص: 70).
45. بن عاشور، مصدر سابق، (1/ 186).
46. القيسي، مصدر سابق، (1/ 107).
47. السمعاني، مصدر سابق، (1/ 37)).
48. بن عاشور، مصدر سابق، (1/ 186).

{اهْدِنَا الصّراطَ الْمُسْتَقِيمَ} أي يقول المصلي: "عَرّفْنا يا الله". وأهل الحجاز يقولون: "هديتُه الطريقَ" أي: عَرَّفته، وكذلك "هديتُه البيتَ" في لغتهم.[49] واهدِنا: دعاء بالهدى. فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب إن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء في المقامات لا نهاية له.[50]

ولِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ قَالَ اهْدِنَا وَلَمْ يَقُلْ اهْدِنِي؟ وَالْجَوَابُ فوق ما ذكر من العدول من ضمير الواحد إلى الجماعة في نعبد ونستعين، أَنَّ الدُّعَاءَ كُلَّمَا كَانَ أَعَمَّ كَانَ إِلَى الْإِجَابَةِ أَقْرَبُ. والسُّنَّةَ إِذَا أَرَادَ المسلمُ أَنْ يَذْكُرَ دُعَاءً أَنْ يُصَلِّيَ أَوَّلًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْعُو ثُمَّ يَخْتِمُ الْكَلَامَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَانِيًا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِيبُ الدَّاعِيَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِذَا أُجِيبَ فِي طَرَفَيْ دُعَائِهِ امْتَنَعَ أَنْ يُرَدَّ فِي وَسَطِهِ.[51]

وفي قوله (إهْدِنا): لمّا قال سبحانه (إِيَّاكَ نَعْبُد) والعِبادة تحتاج إلى وجوهٍ أربعة بها تكتمل العبادة: أحدها: اعتقاد صحيح غير فاسد. الثاني: أن يكون على مقتضى الشرع، لأن العبادة لا تؤخذ بالعقل. الثالث: حسن النية فيها فالصدق والإخلاص، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: 5]. الرابع: الدوام والبقاء عليها وألّا ينتقل ويتغير، وهذه الأربعة لا قدرة لأحدٍ عليها إلّا به، فجاء بعد هذا (إياك نستعين) ومعنى "نَسْتعين" نطلبُ عونك على العبادة بهذه الوجوه الأربعة. وهذا إنّما يكُونُ بهدايته سُبْحانُهُ، فَمِنْ أجْل هذا جاء: (اهْدِنَا) بَعْدَ (نَسْتعين)، فعَلى هذا يكُونُ: (اهْدِنَا) بمعنى أرشِدْنا وَبيِّن لنا، ويكُونُ: أو اهْدِنَا! هو بمعنى: ثَبِّتْنا. وَقَدْ جَاءَ هَذا وهَذا مَنْقُولَين عَنِ السَّلَفِ، وُيمكِنُ أَنْ يَكُونَ (اهْدِنَا) رَاجعاً لهَا كُلَّهَا، أيْ بَيِّن لَنا وأرْشِدْنا، وثَبِّتْنا، والله أَعَلَمُ.[52]

3. الفصل الثالث: من حِكَم العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة في سورة الفاتحة

الأصل في المتكلم المفرد إذا تكلم عن أمر يخصه أن يتكلم بلسان المفرد، فإذا تكلم المفرد بلسان المفرد فقد جاء على الأصل فلا يسأل عن علته كما لو قال الفرد في صلاته "إياك أعبد"؛ ولكن إذا تكلم المفرد بلسان الجماعة كما في سورة الفاتحة: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" فقد خرج عن الأصل فيسئل عندئذ عن العلة التي قد ندرك بعضاً من مقاصدها أو الإشارات التي ترمي إليها، وقد يخفى البعض الآخر انطلاقاً من قوله سبحانه: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: 7]،

ولقد ورد في نون الجماعة من قوله تعالى في سورة الفاتحة: نعبد، نستعين، اهدنا، أقوال عديدة تم تلخيصها بأن النون قد تأتي:

- للتعظيم. قال بعضهم أن النون يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْظِيمِ، كَأَنَّ الْعَبْدَ قِيلَ لَهُ: إِذَا كُنْتَ فِي الْعِبَادَةِ فَأَنْتَ شَرِيفٌ وَجَاهُكَ عَرِيضٌ فَقُلْ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وَإِذَا كُنْتَ خَارِجَ الْعِبَادَةِ فَلَا تَقُلْ: نَحْنُ وَلَا فَعَلْنَا، وَلَوْ كُنْتَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ أَلْفِ أَلْفٍ لِافْتِقَارِ الْجَمِيعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.[53] وفي ذلك تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظاً ينبيء عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف: 2] كأنه قال: لما أظهرت عبوديتي ولم تستنكف أن تكون عبداً ليّ جعلناك أمة، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: 120].[54]
- للتأكيد. يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في مطلع تفسير سورة يوسف: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} [يوسف: 2]: خَرَجَ مَخْرَجَ الجَمِيعِ، وَالمُنْزِلُ هُوَ اللَّهُ، وَالعَرَبُ تُؤَكِّدُ فِعْلَ الوَاحِدِ فَتَجْعَلُهُ بِلَفْظِ الجَمِيعِ، لِيَكُونَ أَثْبَتَ وَأَوْكَدَ.[55] فيجوز للواحد أن يقول نعبد ونستعين على هذا النحو للتثبيت والتأكيد.
- للإخبار عن الجنس. قال بعضهم أن النون هي لِلْإِخْبَارُ عَنْ جِنْسِ الْعِبَادِ [في العبادة] وَالْمُصَلِّي فَرْدٌ مِنْهُمْ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ إِمَامَهُمْ، فَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِبَادَةِ الَّتِي خُلِقُوا لِأَجْلِهَا، وَتَوَسَّطَ لَهُمْ بِخَيْرٍ.[56]
- للجمع. فيرى أغلب المفسرين أن النون هي نون الجماعة؛ فهي بذلك على حقيقتها، فعندما يقول المؤمن في صلاته: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، فإن في ذلك وجوهاً عديدة لجملة من الإشارات والدلالات، منها:

---

49 . الأخفش، 1990م، (16 /1). أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، معاني القرآن، تحقيق: د هدى قراعه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990م.

50 . ابن جزي، مصدر سابق،(65 /1)

51 . ابن أبي الربيع، 1992م، (ص: 391). عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الإشبيلي (المتوفى: 688هـ)، تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، تحقيق: على الحكمي، الجامعة الإسلامية بالدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1413هـ- 1992م.

52 . ابن أبي الربيع، مصدر سابق.

53 . ابن كثير، مصدر سابق، (135 /1).

54 . النيسابوري، مصدر سابق، (104 /1).

55 . البخاري، مصدر سابق، (175 /6) .

56 . ابن كثير، مصدر سابق، (135 /1).

- فيها إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام كمنهج مطلوب لأداء العبادة في صلاة الجماعة، وغيرها من العبادات والشعائر كالحج والجهاد والصيام والأعياد.. فإياك أعبد تنفرد فقط بالعابد وحده، فهذا كان منهج العبّاد سابقاً، يحمل واحدهم فراشه ويمشي إلى الكهف، يعتكف السنوات الطوال منعزلاً عن أقربائه ، ولا يعرف إخوانه ولا أهل دينه، فيقول: (إياك أعبد) فينعزل وينطوي.[57] بينما {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: منهج جماعي، منهج أمة، يشارك الجميع في نسجه، فهذا يقوم بالخدمة، وهذا يقوم بالتعليم، وهذا بالبيان، وهذا بالرباط وهكذا لتتحقق خيرية هذه الأمة في تنوع اختصاصاتها وشؤونها كما أشار في قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].

- ومنها التأكيد أنّ الْأَوْلَى بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ بِالْجَمَاعَةِ،[58] فالصلاة إنما بنيت على الاجتماع، فينبغي ألا تفعل إلا جماعة.[59] قال عليه الصلاة والسلام: عليكمْ بالصَّفِّ المُقَدَّمِ فإنهُ مِثْلُ صَفِّ المَلائِكَةِ ولوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ.. الحديث.[60]

- ومنها أنها تعطي المؤمن عزة ومنعة وثقة في نفسه أمام مجتمعه، فيشعر كل فرد منهم أنه يتحدث بلسان الجميع وأنه سفير للجميع وأنه مفوض للدعاء عن الجميع، فإذا وقف المسلم بين يدي الله ليناجيه ويتضرع إليه لم تجر العبادة على لسانه كفرد منفصل عن إخوانه، بل كطرف من مجموع متفق مرتبط، فجميع المسلمين كل واحد منهم كأنه يتحدث بلسان كل من معه من إخوانه المصلين فيقول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

- فيها تعليم للمؤمن على نكران الذات وتعويده على نبذ الأنانية والاستقلالية في طلب الخير، فالمسلم ليس وحده يعيش وإنما ضمن مجتمع بشري حوله. فيحمد المؤمن الله سبحانه وتعالى ثم يسأله من خيره وهداه، فلا يختص نفسه بالدعاء، وإنما يعم جميع إخوانه، ويطلب رحمة الله له ولغيره {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}.

- أَبْلَغُ فِي الثَّنَاءِ مِنْ أَعْبُدَ وَأَسْتَعِينَ، لِئَلَّا تَخْلُوَ الْمُنَاجَاةُ عَنْ ثَنَاءٍ أَيْضًا بِأَنَّ الْمَحْمُودَ الْمَعْبُودَ الْمُسْتَعَانَ قَدْ شَهِدَ لَهُ الْجَمَاعَاتُ وَعَرَفُوا فَضْلَهُ، فكأنّ الحامدَ لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقنص فيها الثناء إلا انتهزها.[61]

- فيها إشارة إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، فأنت تُعلِّم وهذا يصلي وذاك يذكر والآخر يتجول وآخر بالدعاء وهكذا، ولكن كل هذه الأعمال تتكامل ولا تتخاصم، تشكل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، لهذا لا يمكن عن طريق الصلاة نصلي ونقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ونُوَحِد فكرهم، فـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} لتوحيد الفكر، فسبعين ألف مصلي لا يعرفون الدعوة وهم كتف بكتف والأفكار شتى، ولكن داعٍ هنا وداعٍ في الصين تجدهم بفكر واحد.[62]

- أبلغ وألطف في الأدب والتواضع[63]، فمقام العبودية يقتضي التواضع والذلة لله تعالى[64]، فإنه لَوْ قَالَ إِيَّاكَ أَعْبُدُ لَكَانَ ذَلِكَ تَكَبُّرًا لِمَا فِيه من تعظيمه نفسه مِنْ جَعْلِهِ نَفْسَهُ وَحْدَهُ أَهْلًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ

---

57. إمام، 2011م، (ص: 245) محمد علي محمد إمام، الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية، مطبعة السلام، ميت غمر، الطبعة: الأولى، 2011 م.
58. النعماني، 1998م، (202 /1). أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م.
59. النيسابوري، مصدر سابق،.(104 /1)
60. وتمام الحديث: إنّ هاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ يَعْنِي العِشاءَ والصُّبْحَ مِنْ أثْقَلِ الصَّلاةِ على المُنافِقِينَ ولوْ يَعْلَمُونَ فَضْلَ ما فِيهِما لأتَوْهُما ولوْ حَبْواً عليكُمْ بالصَّفِّ المُقَدَّمِ فإنهُ مِثْلُ صَفِّ المَلائِكَةِ ولوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ وصَلاةُ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أزْكَى مِنْ صلاتِهِ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أزْكَى مِنْ صلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ وَمَا كانَ أكْثَرَ فهوَ أحَبُّ إلَى اللهِ تَعالَى، أخرجه أحمد [ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الموسوعة الحديثية، تحقيق شعيب أرناؤوط وآخرون / مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى، (عدد الأجزاء 45 + 5 فهارس)، 1416هـ 1996م] رقم 21265 (189 /35)، وأبو داود [سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت:275هـ، سنن أبي داوود، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة جدة - مؤسسة الريان - المكتبة المكية – الطبعة الأولى، 1419هـ 1998م.] في كتاب الصلاة بَابٌ فِي فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ رقم 554 (152 /1)، والنسائي [أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المتوفى: 303هـ، السنن الكبرى للنسائي، بإشراف شعيب الأرناؤوط – تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.] في كتاب الإمامة باب الْجَمَاعَةُ إِذَا كَانُوا اثْنَيْنِ رقم 843 (2/ 104) عن أبيّ، وصححه الألباني؛ كذا في السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير [هادي، عصام موسى هادي، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير للسيوطي، دار الصديق ومؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، 1430 هـ - 2009 م.] (1/ 215).
61. بن عاشور، مصدر سابق،.(186 /1)
62. إمام، مصدر سابق، (ص: 245).
63. النيسابوري، مصدر سابق، .(104 /1)
64. مجمع البحوث، مصدر سابق، (21 /1).

يَعْبُدَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ وَلَا يُثْنِيَ عَلَيْهِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، فكأنّه وَحيدُ الميدانِ وهوَ الأهلُ لهذا الشأنِ دونَ غيرِه! أَمَّا لَمَّا قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ كَانَ مَعْنَاهُ أَنِّي وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِكَ، ففيه تَوَاضُعٌ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ.[65] وفرق بين القولين كما يرشد إليه قوله تعالى حكاية عن الذبيح: {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (الصافات: 102)، وقوله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام: {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً} (الكهف: 69). فصبرَ الذبيحُ لتواضعه يُعدِّ نفسه واحداً من الصابرين، ولم يصبرْ كليمُ الرحمن لإفراده نفسه، مع أنّ كلاً منهما قد قال: (إن شاء الله).[66]

- فيها دعوة المسلمين إلى وحدة الهدف والغاية، فقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: عمل جماعي ومقصد جماعي. وقوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: أعطي العون لكل الأمة ليس معناها أَعِنِّي ولا تُعِن أخي، اهدنا: يارب! ثبّت هذه الأمة على جهد نبيك، فأنت تدعو لنفسك ولسائر الأمة بالثبات على جهد النبي ﷺ، اللهم اهدنا واهدِ بنا. وهكذا سورة الفاتحة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} منهاج حياتنا، واهدنا أي للمقصد.[67]

- فيها استشعار حق العبودية من جميع الخلق لله سبحانه وتعالى وحده، وفيه تمجيد وتبريك لعظمة الخالق المستحق لكل الكمالات والمنزه عن جميع النقائص. حينما تقول (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فإنك تعترف بأن الخلق كله عباد لله وأنه رب العالمين جميعًا ليس ربك أنت فقط حين تقول (الحمد لله) ربي تعترف بأنه ربك لكن حينما تقول (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وتقول (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فإنك تستحضر هنا أن الله عزّ وجلّ له حق العبودية من الخلق كلهم أي معنى يحققه الإنسان في قلبه استحضار أن الله تعالى معبود لجميع المخلوقين سبحانه وتعالى وهذا معنى قول إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة: 131] ولم يقل "أسلمت لربي".

- فيها دعوة لاستحضار فقرِ المؤمن وعجزه وعدم لياقته للدخول إلى حضرة جناب ملك الملوك منفرداً مع إقراره بتقصيره ومعصيته، وطمعِهِ أن يلج باب رحمته في عرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلاً؛ فيُدرِج عبادته واستعانته مع عبادة الآخرين واستعانتهم. فكَأَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ: إِلَهِي مَا بَلَغَتْ عِبَادَتِي إِلَى حَيْثُ أَسْتَحِقُّ أَنْ أَذْكُرَهَا وَحْدَهَا، لِأَنَّهَا مَمْزُوجَةٌ بِجِهَاتِ التَّقْصِيرِ، وَلَكِنِّي أَخْلِطُهَا بِعِبَادَاتِ جَمِيعِ الْعَابِدِينَ، فلا يليق بكرمك أن تميز بين العبادات، ولا أن ترد الكل وفيها عبادة الأنبياء والأولياء.[68] وهذا إقرار من المصلي، وشهادة منه بأن هذا هو شأن المؤمنين مع ربهم. وفي ذلك إدراج لعبادته واستعانته، ضمن عبادتهم واستعانتهم؛ رجاء القبول ببركة ذلك.[69]

- كأنه يضم نفسه إلى مجموع الملائكة في عبادتهم لله تعالى، بمعنى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ يُصَلِّي بِالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُ نَعْبُدُ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ ذَلِكَ الْجَمْعُ، وَإِنْ كَانَ يُصَلِّي وَحْدَهُ كَانَ الْمُرَادُ أَنِّي أَعْبُدُكَ وَالْمَلَائِكَةُ مَعِي فِي الْعِبَادَةِ. فَكَانَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ نَعْبُدُ هُوَ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ.[70] بل قد يكون المراد: أعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين.[71]

- كأنّ المؤمنين بتوجههم مجتمعين بعبادتهم واستعانتهم وصلاتهم يستمطرون رحمة رب العالمين في أن يهب المسيء منهم للمحسن؛ فيأذن سبحانه وتعالى بقبول الصفقة من كل قائليها، فيتقبل من عباده أعمالهم بما يغفر لبعضهم الأشياء المعيبة. ولذلك أقول: إن رأيت إنساناً مستغرقاً في العبادة فلا تسخر منه ولا تهزأ به؛ لأن حرصه على الطاعة وانشغاله بالعبادة قد تنفعك أنت.[72]

- فيها دعوة للمؤمن لأن يهتم بشؤون المسلمين وبقضاء حوائجهم، فلو قال: «إياك أعبدُ» كان قد ذكر عبادَةَ نفسِه، ولم يذكر عبادَةَ غَيْرِه، أما إذا قال: «إياك نعبدُ» كان قد ذكر عبادَة نفسِه، وعبادة جميع المؤمنين شرقاً وغرباً.[73] فكأن الله تعالى قال للمؤمن: لما أثنيت عليّ بقولك: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك

---

65 . الرازي، مصدر سابق،.(212 /1)

66 . الألوسي، د.ت، (88 /1). أبي الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت:1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

67 . إمام، مصدر سابق، (ص: 245).

68 . النيسابوري، مصدر سابق، (104 /1).

69 . مجمع البحوث، مصدر سابق، (21 /1).

70 . الرازي، مصدر سابق،.(212 /1)

71 . النيسابوري، مصدر سابق،.(104 /1)

72 . الشعراوي، 1997م، (5710 /9). محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

73 . النعماني، مصدر سابق،.(202 /1)

يوم الدين» وَفَوَّضْتَ إِلَيْنَا جَمِيعَ مَحَامِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ عَظُمَ قَدْرُكَ عِنْدَنَا وَتَمَكَّنَتْ مَنْزِلَتُكَ فِي حَضْرَتِنَا،[74] فلا تقتصر على إصلاح حالك بل عليك بالسعي في إصلاح حال جميع إخوانك فقل: «إياك نعبد وإياك نستعين».[75] فإذا فعل ذلك قضى الله مهماته.[76]

- فيها دعوة لصهر المؤمنين في بوتقة واحدة في العبادة، فيقول الشعراوي رحمه الله: الحق هنا لا يتكلم عن فرد أو جمع، لكنْ قال سبحانه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ليوضح لنا أن المؤمنين كلهم وحدة واحدة في العبادة.[77]

- تمثل اعترافاً جلياً بقصور العبد وحده عن الوقوف أمام الله تعالى، فكأنه يقول: لا يليق بي الوقوف وحدي وبمفردي في مناجاتك، وأخجل من تقصيري وذنوبي، بل أنضم إلى سائر المؤمنين، وأتوارى بينهم، فتقبل دعائي معهم، فنحن جميعا نعبدك ونستعين بك.[78]

- وفيه أيضًا إغاظة للمشركين بإعلامهم أن المسلمين صاروا في عز ومنعة.[79] ففي وقوفهم صفاً واحداً في الصلاة ومناجاتهم لربهم وأدائهم لعبادتهم مجتمعين على قلب رجل واحد أكبر إغاظة لأعداء الإسلام الذين تقر أعينهم بفرقة المسلمين وتشرذمهم واختلافهم.

خـــــاتمة البحـــــث

القرآن الكريم هو دستور الله الخالد الذي أنزله على خير البرية وارتضاه للناس كافة، فقال جل شأنه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28]. واقتضت حكمته تعالى أن اختار سورة الفاتحة ليفتتح بها كتابه العزيز، وجعل لها من الأهمية والمكانة بحيث لا تقبل صلاة بدونها. فكان من الضرورة بمكان أن يتدبر المؤمنُ معانيَ هذه السورة العظيمة، ويتفكر بما جاء بها من الحكم والإرشادات والإشارات التي ينبغي على الجميع تطبيقها وتنفيذها لينالوا رضا الخالق ويحققوا الغاية المرجوة من استخلافهم في الأرض.

في هذا البحث تم تسليط الضوء على أهمية اجتماع الكلمة ووحدة الصف ووضوح الهدف وتبليغ الرسالة في الإسلام كمنهج جماعي مطلوب للأمة الإسلامية لتنهض من سباتها وتحقق الخيرية التي أرادها الله تعالى وارتضاها لها، قال جل شأنه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110].

وتتكرر هذه الدعوة المباركة للوحدة والجماعة في كل يوم مئات الملايين من المرات على لسان المسلمين الذين يقرؤون الفاتحة من المصلين المنتشرين في بقاع المعمورة، فتحثهم على تآلف القلوب وتشابك الأيدي ووحدة الهدف والغاية؛ فلم تعرف أمة من الأمم جمعت خصال الوحدة ومقوماتها مثل الأمة الإسلامية، رب واحد، ودين واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة، ومنهج واحد، ولغة واحدة، وتاريخ واحد، وحضارة واحدة، وتراث واحد وغير ذلك من مقومات الوحدة والجماعة التي قررها الله تعالى لأمة الإسلام، فقال جل شأنه: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92].

وكذلك نجد في سورة الفاتحة الدعوة إلى تعليم المؤمن وحثّه على نكران الذات وتعويده على نبذ الأنانية والاستقلالية ليهتم بشؤون غيره من المسلمين وبقضاء حوائجهم، كما أنها تعطي المؤمن عزة وثقة في نفسه أمام مجتمعه فيشعر كل فرد منهم أنه يتحدث بلسان الجميع وأنه مفوض للدعاء عن الجميع، وغير ذلك من الحكم والفوائد التي حفلت بها هذه السورة العظيمة.

أهم نتائج البحث:

يمكن حصر النتائج في النقاط التالية:

1. التعريف ببعض فضائل سورة الفاتحة، أعظم سورة في القرآن.
2. بيان وشرح للآيات المتضمنة لصيغة نون الجمع في سورة الفاتحة.

74 . الرازي، مصدر سابق، (212 /1).
75 النيسابوري، مصدر سابق، (104 /1).
76 . الألوسي، مصدر سابق، (88 /1).
77 . الشعراوي، مصدر سابق،.(2041 /4)
78 . الزحيلي، مصدر سابق،.(56 /1)
79 . بن عاشور، مصدر سابق، (186 /1).

3. التعريف ببعض الحكم والإشارات المستفادة من العدول عن ضمير الواحد إلى الجماعة في سورة الفاتحة.
4. الدعوة للتدبر بمعاني سورة الفاتحة العظيمة، والتفكر بها، وتجديد العزم عند تلاوتها على تطبيق ما ورد بها من الإرشادات والإشارات.
5. بيان حاجة العصر الملحة إلى الحلول القرآنية لعلاج حالة التشرذم التي تمر بها الأمة الإسلامية بشكل خاص، والتعريف بما يحويه القرآن الكريم على علاج جميع قضايا الإنسانية المختلفة.

توصيات ومقترحات البحث:

أ- باتت الحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى إلى دعوة النخب الفكرية والعلمية إلى توفير الدراسات والأبحاث التي تؤصل لاستنباط الإرشادات الحكيمة التي يذخر بها كتاب الله الكريم من أجل إسقاطها على الواقع المرير الذي تمر به الأمة الإسلامية من أجل إيجاد الحلول الناجعة لمشكلة تخلف المسلمين وتقهقرهم عن ريادة العالم وهم يحملون أكمل الرسالات.

ب- يمكن اجراء الأبحاث الميدانية الإحصائية الخاصة بمتابعة مدى تدبر وتفكر المصلي بمعاني سورة الفاتحة، ومدى تطبيقه للإرشادات الربانية التي تدعو إليها على مستوى المصلي الفرد أو ضمن جماعة لفئات عمرية متعددة.

ت- متابعة الأبحاث الميدانية الإحصائية لدى شريحة تمثل النخبة من العلماء والباحثين لمعرفة أثر تفكرهم وتدبرهم بالمعاني العظيمة لسورة الفاتحة ومدى الفائدة المرجوة من تطبيقها، وانعكاس ذلك على أطياف المجتمع برمته.

ث- الحاجة إلى دراسة متأنية حول الصعوبات التي قد تواجه المصلي في تدبره لما يقرأ من القرآن، وبخاصة سورة الفاتحة.

ج- الحاجة إلى إصدار قناة فضائية إسلامية متخصصة، تراعي في نظامها تعريف وشرح الإرشادات المنهجية في الإسلام بطريقة هادفة ومشوقة.

وختاماً أرجو أن يرفد هذا البحث المكتبة الإسلامية المباركة في جانب مهم من الجوانب الإيمانية والفكرية والأخلاقية.. وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من يقدم إليّ النصح والإرشاد في زلل قد وقع، أو نقص من الواجب تداركه، أو خطأ يجب تصحيحه؛ فالكمال لله تعالى وحده، والعصمة للأنبياء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

KAYNAKÇA

Ahfeş el-Evset, Ebü'l-Hasen Saîd b. Mes'ade el-Mücâşiî el-Belhî el-Ahfeş el-Evsat. *Meâni'l-Kur'ân.* Thk. Huda Kurraa. Kahıra: Maktabatul-Hanci, 1411/1990.

Ahmed b. Hanbel, Ebû Abdillâh Ahmed b. Muhammed b. Hanbel eş-Şeybânî el-Mervezî. *el-Müsned*, Mısır: Der el Resala, 1416/1996.

Âlûsî, Ebü's-Senâ Şihâbüddîn Mahmûd b. Abdillâh b. Mahmûd el-Hüseynî el-Âlûsî. *Rûḥu'l-me'ânî*, Beyrut: Daru İḥyâi't-Türâṡi'l-'Arabî, ty.

Begavî, Ebû Muhammed Muhyissünne el-Hüseyn b. Mes'ûd b. Muhammed el-Ferrâ'. *Me'âlimü't-tenzîl.* Thk; Mehmet Elnemer, Rıyad: Ottman Dumeyria, 1409/1988.

Buhârî. *Sahîhu'l-Buhârî*. Thk. Mustafa el-Buga. Şam: Daru'l-Ulûm el-Beşâir, 1413/1993.

Derviş, Muḥyiddin b. Aḥmed Muṣṭafa. *İ'rabu'l Kur'an ve Beyânuh*. Dımaşk: Beyrut, 1415h.

Ebû Dâvûd, Süleymân b. el-Eş'as b. İshâk es-Sicistânî el-Ezdî. *es-Sunen*. Thk. Muhammed Nasır el-Din el-Arnavuti. Riyad: Kütüphane Saad Al-Rashed, 1417 h.

el-Ezherî, Ebu Manşur Muḥammed b.Aḥmed. *Tehẕîbu'l-Luğa*. Thk. Muḥammed 'Avaḍ Mu'rıb. Beyrut: yy. 2001.

el Kārî, Ebü'l-Hasen Nûrüddîn Alî b. Sultân Muhammed el-Kārî el-Herevî. *Mirkātü'l-mefâtîh* , Beyrut: Daru'l-Fikr, 1422/2002.

es-Samaani, Ebu El-Muzaffar. *Tefsîrü'l-Ḳur'ân*. Thk. Yasser İbrahım. Riyaad: Dar el-Vatan, 1418/1997.

es-Sâmerrâî, Fadıl*. lamasat Byaniya.* Amman: Dar Ammar, 1423/2003.

es-Suyuti, Celelddin. *el-itkan*. Thk. Mohamed ebu el-fadel. Dımaşk: Daru'l-Kalam Tayyib, 1426/2005).

İbn Acıbe, Ebü'l-Abbâs Ahmed b. Muhammed b. Mehdî el-Hasenî eş-Şâzeli. *el-Baḥrü'l-medîd fî tefsîri'l-Ḳur'âni'l-mecîd*. Thk. Ahmet russlan. Kahire: yy. 1375 h.

İbn Âdil, Ebû Hafs Sirâcüddîn Ömer b. Nûriddîn Alî b. Âdil en-Nu'mânî ed-Dımaşk. *el-Lübâb fî ʿulûmi'l-Kitâb*. Thk: Ali Muaad, Adil Abdllmujud. Beyrut: Dar el-kutub el-mya, ts. 1419/1998.

İbn Âşûr, Muhammed Tâhir İbn Âşûr'un. *et-Tahrir ve't-Tevir*. Tunus: ed-Der'ut-Tunissye, 1405/1984.

İbn Cerîr et-Taberî. *Kur'ân-ı Kerîm tefsiri (Camiu'l-Beyan an Te'vili ayi'l-Kuran).* Thk, Ahmet Şaker. Beyrut: Daru'r-Risale, 1420/2000.

İbn cüzey, Ebü'l-Kāsım Muhammed b. Ahmed b. Muhammed el-Kelbî el-Gırnâtî. *el Teshil li-ulumıttanzıl*. Thk. 'Abdullah Elhalid'. Beyrut: Der el-arkam, 1416/1996.

İbn Kayyim al-Cevziyye. *Tefsirü'l-Kur'ani'l-Azim*. Thk. Arap ve İslam Araştırmaları ve Araştırma Merkezi. Yy:Dar el Hilal,1410/1989.

İbn Kesir, Ebü'l-Fidâ, İmâdüddîn İsmâîl b. Şihâbiddîn Ömer b. Kesîr b. Dav' b. Kesîr el-Kureşî ed-Dımaşkī. *Tefsîrü'l-Ḳur'âni'l-ʿazîm*. Thk. Sami Selama, ,Dımaşk: Dar Taıba,1420/1999.

Ḳurtubî, Ebu 'Abdullah Muḥammed b. Aḥmed. *el-Câmi' li Aḥkâmi'l-Ḳur'an*. Thk. Aḥmed el-Berdûnî-İbrahim Eṭfeyyiş. Ḳâhire: yy. 1384-1964.

Müslim, b. Haccâc el-Kuşeyrî. *Sahih-i Müslim*. Riyad: Dar Bint Efkar, 1419 h.

Müslim. *Sahih-i Müslim*. Riyad: Daru Binti'l-Ahmer ed-Devliyye, 1419 h.

Nesâî, es-Sunenü'l-kübra. Thk. Hassan Şelebi Beyrut: er-Risâle, 1421/2001.

Neysâbûrî, el-Ḥasen b. Muḥammed b. Ḥuseyn, Ğarâibu'l-Ḳur'ân ve Rağâibu'l-Furḳan (Thk. Zekeriyyâ 'Umeyrât), Beyrut 1416 h.

Râzî, Faḫruddin Ebû 'Abdullah Muḥammed b. Omer. *Mefâtîḥu'l-Ğayb et-Tefsîru'l-Kebîr*, Beyrut: Daru İḥyâi't-Türâṡi'l-'Arabî, 1420 h.

Semîn el-Ḥalebî, Ebu'l-'Abbâs Şihâbuddîn Aḥmed b. Yûsuf b. 'Abduddâim. *ed-Dürrü'l-Meṣûn fî 'Ulûmi'l-Kitabi'l-Meknûn.* Thk. Aḥmed Maḥmûd el-Ḫarrâṭ. Dımaşḳ: Daru'l-Ḳalem, ty.

Tirmizî, Ebû Îsâ Muhammed b. Îsâ b. Sevre. *el-camiu'l-Kebir, Sünenü't-Tirmiẕî.* Thk. Başar Avvad. Beyrut: Daru-l Garbu'l-İslami, 1419/1998.

Zemaḫşerî, Ebu'l-Ḳâsım Maḥmûd b. 'Omer. *el-Keşşâf 'an Ḥakâiḳ Ğavâmizi't-Tenzîl*. 3. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Kitabi'l-'Arabî, 1407 h.

Zuhayli, Vehbe. *Tefsir'ül Münir*. Şam: Dar el-Fikr,1418/1997.

http://www.nabulsi.com/blue/ar/te.php?art=2872.

http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=9340&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49.